

## تركيا تسعى بكل الوسائل لقطع طريق مصر إلى ليبيا

حملات إخوانية فاشلة لإثارة هواجس الليبيين ضد القاهرة



لن نسجم بأخونة ليبيا

الغربية، ومن الضروري كسر شوكتها هناك، وكانت هناك ثلاثة خيارات متاحة، ورابع مؤجل، لن يتم استخدامه إلا في حالة الاعتداء المباشر على الأمن المصري. الأول: حث المجتمع الدولي على التدخل عن حربه الانتقائية مع الجماعات الإرهابية، وخوض حرب شاملة على كل المتطرفين دون انتقائية. وتعذر هذا السيناريو، بفعل فاعل، وكان هناك من يريدون عدم انتهاء هذه الحرب في ليبيا، وتدور في فلكهما قوى أخرى. وتؤيّر الحجج لتستمر في حلقاتها المفرغة.

الثاني، حرض القوى الإقليمية والدولية على تبني مشروع متماسك للتسوية السياسية. وفي كل المبادرات التي طرحت، بدءا من باريس وبالبريمو وأبو ظبي، وحتى محطة برلين التي لم تكتمل، كانت تركيا وازلامها في حكومة الوفاق أول العابثين بالحل السياسي. وتدور في فلكهما قوى أخرى. وكلما لاحت بوادر للتسوية عملت انقرة على نقضها بشتى السبل.

الخيار الثالث: تغليب الحل العسكري للتعامل مع الميليشيات التي تجيد الكر والفر من خلال تحالف إقليمي-دولي. لم يجد هذا السيناريو أذنا صاغية على الصعيدين، في ظل رغبة البعض في استمرار المعارك حتى تنهك أطرافها الرئيسية، أو إيجاد أمر واقع يجعل من التقسيم طريقا وحيدا، بما يحقق مصالح بعض القوى التقليدية المتصارعة.

أما الخيار الرابع المؤجل، فيتعلق بتدخل مصري عسكري بمفردها. ولم يبد مسؤول واحد دعما صريحا لهذا الخيار على مدار السنوات الماضية. وعملت أجهزة الدولة على استبعاده، وسد القنوات الواسعة التي يمكن أن تفضي إليه، كلما حاول البعض التلويح به. تتعامل القاهرة مع حملة التحريض الأخيرة بقدر كبير من الثبات والحرص أو كمن يسد أن هدفها دحر الجيش المصري الذي أصبح القوة النظامية العربية الوحيدة في المنطقة، بعد أن مرت بعواصف متعددة، ونجا باعجوبة من الكمائن التي نصبته له داخلها.

إذا أرسلت تركيا قواتها فعلا إلى ليبيا لن تصمت القاهرة بالتاكيد وسوف تتعاطى معها بالطريقة التي تتعامل بها مع الإرهابيين والعصابات المسلحة ولفلول المرتزقة حاليا، وتترك مهمة المواجهة العسكرية الرئيسية للجيش الوطني الليبي الذي سيكتسب المزيد من التعاطف الدولي، لأنه يواجه قوات غازية.

وقد تجدها القاهرة فرصة لتحويل ليبيا إلى مستنقع حقيقي وليس نزهة لتركيا. فقد كانت حربها في سوريا سهلة بحكم ضوابط الجغرافيا، وفي ليبيا سوف يصبح الوضع مختلفا. الأمر الذي جعلها تفكر أولا في إرسال طليعة من المرتزقة والمتشددون الذين ينفذون أوامرها. من هنا تبدو حملات التحريض الإخوانية هدفها الردع وليس الجبر.

هذه مجموعة من الأسئلة تدور في ذهن الكثير من المتابعين، وتحتاج الإجابة عليها فهم الاستراتيجية التي يتبناها النظام المصري حاليا، ويتعامل بموجبها مع المعطيات الإقليمية الساخنة والتي قد لا تجعله في مأمن طوال الوقت.

## خيارات متفوتة

قرأ المراقبون عن كذب لتحركات القاهرة هذه المعطيات في ضوء أن القوى التي تضررت من إسقاط نظام الإخوان المسلمين في مصر لن تقبل الهزيمة بسهولة، والجماعة نفسها لم توقف لحظة الإعياء، فإذا رفضت الحسم العسكري في ليبيا بمعرفتها ستقوم تركيا بالمهمة لصالحها. وقتها سوف يكون الإرهابيون على حدودها الغربية مباشرة وبصورة أكثر تنظيما.

ظلت ليبيا هي الأزمة المركزية في الخاصة المصرية، لأنها على مرمن مصر، وغالبية العناصر التي ظهرت بصماتها في عمليات إرهابية كثيرة وفي مناطق متفرقة في البلاد جاءت من الحدود

يرمي هذا الاتجاه إلى حرف الأنظار الإقليمية والدولية بعيدا عن المؤامرة التركية المتكاملة، والتركيز على ما يمكن أن تقوم به مصر التي يتمسك خطابها المعلن حتى الآن بتغليب التسوية والحلول السلمية، ويرفض التدخلات العسكرية الخارجية، وأبرزها التركية.

يحمل استمرار السيناريو الإخواني لإسقاط مصر وتكريس تردها وعدم تحريك قواتها خارج حدودها في مهام عسكرية إقليمية، الكثير من العلامات التي تصب في صالح تركيا، وأهمها تمكينها من أن تكون دائما القوة الصلبة الوحيدة في المنطقة القادرة على الحسم، وتقرير مصير الشعوب.

تبتنى القاهرة خطا معتدلا قد يكون محيرا للبعض. فكيف تتعامل بهذا الهدوء مع أزمة تطرق أبوابها وتهدد بقوة أمنها القومي؟ ولماذا لم تلجأ إلى التدخل العسكري لحل المشكلة قبل أن تتفاقم مع وصول القوات التركية، برا وبحرا وجوا؟ وما هو التصرف المنتظر، في حالة قيام انقرة بإرسال بوارجها وطائراتها وصواريخها إلى ليبيا؟

تبقى من مصادقية لها، وأن ثمة معسكرين عربيين في المشرق والمغرب، وصولا للإيحاء بأن رؤية مصر لا تحظى بدعم عربي كبير، واللجوء إلى الجامعة العربية لن يوفر لها غطاء سياسيا أو عسكريا.

يتخوف التيار الإسلامي في ليبيا من التدخل العسكري المصري، لأنه يعلم حجم الخسائر التي سوف يتكبدها حال حدوث ذلك، بسبب عوامل الجغرافيا التي تميل لصالح مصر، وفهمها التركية الاجتماعية وتشابكاتنا القبلية. وتعلم تركيا أن دخول القاهرة بقلها العسكري في الوقت الراهن قد يقطع عليها الطريق لاحقا، أو يضع المزيد من العقبان والتحديات، ويقال من تحقيق الأهداف العاجلة التي حملتها مذكرة التفاهم البحري والأمني مع حكومة الوفاق. لم يجد هؤلاء سوى شن حملة دعابة واسعة تثير هواجس الليبيين، وتفرض عليهم الاصطفاء ضد مصر، وتفتح الباب للتشكيك في نواياها أمام المجتمع الدولي الذي تطلبه دوما بالبحث عن حل سياسي للأزمة، بينما تجهز جيشها في حملة عسكرية واسعة.

التوجهات المؤدلجة والمتشددة، وطربت له، وبدأت تسويقه على نطاق واسع. يعتقد أصحاب الدعاية السوداء أنها كفيلة باستمرار تردد مصر وكبح كل الأفكار التي تراودها لدخول الحرب مباشرة في ليبيا في أي لحظة، وتهديدها بأنها ستدخل مواجهة قاسية مع التنظيمات المسلحة في طرابلس. لن تصلح معها وسائل القتال النظامية، بعد تدفق أعداد كبيرة من الإرهابيين الوافدين من سوريا إلى ليبيا، وجرى حملهم على سفن وطائرات تركية أخيرا.

ويضعنا النموذج الليبي بكل تفاصيله في مشهد جلي لحقيقة الصراع وطبيعة المواجهة بين مشروع التنظيم الأممي الموحد والاستهداف والتكامل الأدوات والخطوات، ومشاريع المواجهة القطرية متفرقة المنبت ومتعددة الأغراض.

وقال عبدالجليل الشرنوبلي، الخبير في شؤون الحركات الإسلامية، لـ"العرب"، "لا مجال للدهشة أمام سفور المساعي التركية الرامية لدعم الحضور التنظيمي الإخواني في ليبيا، وعلى من يندشون أن يلوموا حساباتهم التي وصلت بالحال إلى المآلات التي يستهدفها التنظيم منذ استئثار حضوره في مشهد الربيع العربي".

وأضاف، أن تسارع خطوات المشروع الإسلامي في ليبيا ليست مُحصلة للسير بخطى التنظيم الأممية واستدراكا لمستجدات المشهد في المنطقة، ومن التهوين لحجم التهديد الذي أن يتم ربط تطور الأحداث بطموحات اردوغان فقط التي تتقاطع مع أهداف التنظيم، ما يفرض على مصر والدول العربية البحث عن خطة إنقاذ متكاملة تقطع المجال على صيد التنظيم الدولي للإخوان في الماء العكر بفعل تعدد وتباين الأهداف.

## المشرق والمغرب

زادت الشائعات الإخوانية التي تلاحق مصر، مصحوبة بسياسة تخويف متقنة ومتباينة كي يتسنى للجماعة ترتيب أوراقها. ولجأ خطاب القادات المحسوبة عليها إلى استنفار دول الجوار حيال أي تدخل مصري متوقع لخلق فتنة أخرى قد تقلل من تسلط الأضواء على التحركات التركية في ليبيا، وتضاهف من الشكوك المغاربية في نوايا التوجهات السياسية للقاهرة.

تعاملت حكومة الوفاق بطريقة انتقائية مع بيان جامعة الدول العربية بشأن ليبيا، الثلاثاء، حيث شكر محمد سيالة وزير خارجيتها، وزراء خارجية دول قطر والسودان والمغرب العربي، على موقفهم الداعم لليبي خلال اجتماع المديريين الدائمين بالقاهرة، لضرب ما



محمد أبو الفاضل

كاتب مصري

تعرف الآلة الإعلامية الإخوانية لحنا واحدا لاستفزاز مصر والاستفادة مما يشبه التردد للتدخل العسكري في ليبيا، وحرف القاهرة عن مسار التصعيد التركي وتوابعه المختلفة، بإثارة اللغز عبر حديث عن تدخل فعلي في الأزمة وبث صور مزورة لجنودها في ساحات القتال، والترويج بأن دولاً إقليمية تحاول الرزح بها في مستنقع ليبيا، أو الزعم بأنها سعيدة بالاتفاقيات البحرية مع حكومة طرابلس.

يبود القاسم المشترك بين هذه الأحداث، هو تخريب العلاقة بين مصر والشعب الليبي، وبين الدول الحليفة والصديقة لها في شرق البحر المتوسط، والسعي لوضعها في خانة العدو بدلا من تركيا التي تطوع كل شيء أملا في السيطرة على مقاليد الدولة الليبية، والغاز في منطقة شرق المتوسط، بالتالي شغل القاهرة في حروب ومشكلات جانبية بعيدة عن المعركة الرئيسية التي تستعد لها تركيا في ليبيا.

## تركيا تعلم جيدا أن دخول القاهرة بقلها العسكري في الوقت الراهن قد يقطع عليها الطريق لاحقا

تخرق انقرة توازنات الجغرافيا السياسية. ترسل الإرهابيين والمرتزقة والمعدات العسكرية، تعقد الصفقات البحرية والأمنية مع حكومة الوفاق. وتعمل كل ما في وسعها لتكون لاعبا إقليميا وحيدا ومؤثرا، بلا ضوابط أو احترام للقوانين الدولية.

تقوم جماعة الإخوان بعملية متقنة للفت الأنظار بعيدا عن العدو الحقيقي (تركيا) وتركيزها على "العدو المقتل" (مصر)، أملا في تجهيز المسرح لتدخلات انقرة غير المشروعة وتبرير الموافقة الرسمية على إرسال القوات إلى الأراضي الليبية.

لم ينكر النظام المصري تأييده للجيش الوطني الليبي، بقيادة المشير خليفة حفتر، وتبني موقف صارما ضد الميليشيات التي يدعمها رجب طيب أردوغان. ويرفض التدخلات الخارجية من النوعية التركية. لذلك وجدت حملة الشائعات الجديدة التي تستهدف الرزح بالقاهرة في المعارك العسكرية صدى إيجابيا لدى قطاعا غلبته من أصحاب

## تناقض مصالح الدول يؤخر أي حسم عسكري في ليبيا

ويقول الخبير في الشأن الروسي الدكتور فائز حوالة إن "ليبيا تحولت مكانا للنزاع الدولي والإقليمي"، متخوفا من "توريط الجيش المصري لمواجهة التدخل التركي في ليبيا". وفي هذا الشأن رأى معيوف أن "ما يهم مصر في الاتفاق الليبي التركي هو الشق الأمني فقط".

## من الممكن أن تكون هناك عمليات عسكرية مصرية داخل ليبيا ضد السلوك التركي

ويرى الدكتور إدموند غريب، وهو أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جورج تاون، أن "هناك عدم وضوح وتباين بالواقف بين المسؤولين الأميركيين بشأن ليبيا"، محذرا من أننا "سنشهد في الفترة المقبلة صراعا دوليا على الموارد في ليبيا". وذكر بأن "الولايات المتحدة دعمت الموقف الأوروبي سابقا بشأن الأزمة الليبية".

ومع ذلك فإن بعض المصادر الدبلوماسية تعتبر أن الحرب في طرابلس قد تكون ضرورة لحسم خيارات الدول المعنية لكنهم يقرون في الوقت عينه أن تناقض مصالح الدول قد يؤخر أي حسم عسكري بانتظار نضوج حلول سياسية تؤسس لما بعد سقوط طرابلس.

تمارسها انقرة داخل خارطة الطاقة في البحر المتوسط، فيما تعتبر دول المتوسط المعنية بسوق الغاز بأن تركيا تسعى لقلب الطاولة ضد كل خطط التنقيب عن الغاز وتوزيعه في شرق المتوسط.

ويقول المحلل السياسي التركي جواد غوك إن "عدم تنسيق تركيا مع مصر بشأن الاتفاق مع ليبيا تسبب بمشكلة حقيقية"، مضيفا أنه "من الممكن أن تكون هناك عمليات عسكرية مصرية داخل ليبيا ضد تركيا". وأكد أن "أحزاب المعارضة في تركيا رفضت التدخل في ليبيا".

وقد برز موقف مصري قبرصي يوناني مؤخذ ضد السلوك التركي، فيما بدا أن الاتحاد الأوروبي يجمع على إدانة تركيا والتضامن الكامل مع قبرص واليونان. يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة أفرجت عن موقف رافض لمذكرة التفاهم الموقعة بين انقرة وطرابلس مع استمرار واشنطن بالاعتراف بحكومة الوفاق برئاسة السراج.

وفيما تحركت واشنطن منتقدة تدخل روسيا في الشؤون الليبية، ما زالت موسكو تنفي أي تدخل عسكري مباشر لها في الحرب الداخلية في ليبيا. ومعروف أنه، وعلى الرغم من علاقات موسكو مع طرابلس، وعلى الرغم من الزيارات التي قام بها السراج إلى روسيا، إلا أن موسكو عبرت عن علاقة تحالف مع بنغازي ومع المشير حفتر بالذات.

عقيلة صالح وقائد الجيش الوطني الليبي المشير خليفة حفتر من جهة ثانية. وقد تحولت مهمة سلامة من السعي لراب الصدع بين قوى الداخل إلى السعي، من خلال مؤتمر برلين، إلى راب الصدع بين القوى الإقليمية والدولية لعل في ذلك ما يمكن أن يؤدي إلى مسارات للتسوية الليبية.

وقد فجرت مذكرة التفاهم حول الحدود البحرية والتي وقعها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ورئيس حكومة الوفاق في طرابلس ردود فعل قواسم مشتركة بين أطراف الصراع، إقليمية دولية غاضبة قد تنذر بصدام خطير بين الدول المعنية بالشأن الليبي.

والمذكورة أداة من أدوات الضغوط التي هناك توافق دولي حول الأزمة الليبية لما وصلت الأمور إلى هذه المستويات الخطيرة.

وتتخمس هذه التصريحات داخل التحول الكبير الذي طرأ على المقاربات التي يعتمدها سلامة للوصول إلى تسوية تنهي الحرب في ليبيا. فقد بدأ مهمته في المرحلة الأولى من خلال مداوولات شملت قراء الصراخ والزعامات داخل ليبيا، كما جال على المناطق الليبية، وقام برحلات مكوكية بين طرابلس وبنغازي في محاولة لإيجاد قواسم مشتركة بين أطراف الصراع، لاسيما بين حكومة الوفاق برئاسة فائز السراج من جهة والبرلمان الليبي برئاسة

طرابلس - رصد المراقبون بعناية خارطة المصالح الإقليمية والدولية داخل تطورات المشهد الليبي لاسيما في الشق المتعلق بالمعركة الحالية في طرابلس.

ويرى هؤلاء أن أجدبيات الحل في ليبيا خرجت من أيدي الرفقاء الليبيين، وبياتت مرتبطة بشكل كامل بأجندات العواصم المعنية مباشرة بالشأن الليبي. وتقول مصادر دبلوماسية إن مؤتمر برلين حول الشأن الليبي والمزمع عقده ربما في الشهر المقبل، يكشف بشكل واضح أن تعقد الشأن الليبي مرتبط بجل بعد مصادر الدولية بأكمله. فال مؤتمر تحضره عشر دول معنية بالشأن الليبي، فيما مداوولات جديدة تبحث توسيع الحضور ليشمل 13 دولة، دون أي ضمانات من ألا يعتمد العدد إلى أكثر من ذلك.

ويقول الأكاديمي والمحلل السياسي الليبي الدكتور أحمد معيوف إن "جلوس الليبيين على طاولة الحوار من دون تدخل دولي أمر مستحيل حاليا"، مضيفا أن "وجود الليبيين في مؤتمر برلين معنوي ولا يؤثر على مخرجاته".

بالمقابل فإن الإعلامي والأكاديمي الليبي الدكتور عبدالعزيز أغنية يرى أن "ملف الأزمة الليبية ما زال بيد الليبيين"، لكنه يلفت أن "وجود الميليشيات المسلحة في طرابلس يشكل خطرا على إيطاليا وفرنسا"، وأن "الميليشيات في طرابلس انكثرت لسنوات طويلة وجود داعش في مدينة سرت". وكان المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة قد اعتبر أنه لو كان



معركة الحسم مقبلة